

في نور محمد فاطمة الزهراء

الناس، كريمان على الله، كأعظم ما تكون الأقدار عندما ترتفع أسجاف [277] الأسرار، وتتفتح أبواب الغيب أمام الأبصار في هذه الحياة، وكأكرم ما تكون عندما يعرض، من بعد، أصحاب الأقدار على الله. ولا مغالة، فالثمرة بنت الشجرة، وعن الفروع تنبئ الأصول. * * *

وكانت الشجرة ثابتة الجذور، فاستوت على الساق، وطالت الفروع، واخضرت الأوراق، وكانت طيبة، فزكا الذَوَر، وتضوء [278] الزهر، وينعت الثمار. فما يختلف ماء الجدول العذب عن ماء ينبوعه إلاَّ بقدر يسير إن كان لا بدَّ من تباين واختلاف، وما يخلو غد الناس من آثار ماضيهم، ومن بصمات حاضرم، وكلَّها - لا محالة - جارية في قابلهم القريب اللصيق، والبعيد العريق، جريان الدم في عروق الأجسام، وما تغيب تماماً من مخايل الأخلاق سمات الأسلاف. وكيف لا يرى المرء في تربِّي الطفولة بتلك الدار القائمة بجوار بيت الله شبيهاً من هنا وشبيهاً من هناك للملامح المعنوية للآباء والأجداد، فضلاً عن المظاهر المادية للأبدان والأجساد؟ فأمَّا السمات العضوية فلا عليها تعويل، إن هي إلا كقشور، بل هي كدهان ... وأمَّا السمات النفسية فأبقى على الزمان، جواهر وألباب، كالدماء تجري - كلَّها أو بعضها - في شرايين الأجيال، إلى الذراري تنتقل من البطون والأصلا، إلى الآباء من الأجداد، إلى الأبناء من الآباء، فإلى الأحفاد وأحفاد الأحفاد. عادةً عن طريق الوراثة، غالباً عن طريق التلقين، أحياناً عن طريق الامتثال. * * *